سيميائية المركز و الهامش في مقامة التحفة المرضية

د/ عبد المجيد دقياني
أ/ دليلـــة البـــاح
جامعة بسكرة

الملخص :

يتناول هذا المقال دراسة مقامة التحفة المرضية لمحمد بن ميمون. فهذا العمل دخل قصر الداي محمد بكداش /سلطة المركز وكلل شخصيته بالثناء والإطراء وسجل عمله المنجز- تحرير وهران من قبضة الاسبان- بأحرف من ذهب في تاريخ الأدب.ولهذا المقامة جنسا أدبيا خالصا في أدب المركز.

و دراسة هذا العمل بمنهج سيميائي وفق ثنائية (المركز/ الهامش) مكننا من رصد حركة الداي "محمد بكداش" حيث انتقل من الهامش إلى المركز /الداي.

وبوصول "محمد بكداش" إلى سلطة المركز توسع فضاء دائرة المركز والهامش من فضاء وطني (الجزائر) صراعه يدور حول السلطة السياسية إلى فضاء عالمي تاريخي فيه صراع المركز والهامش بين المسلم والكافر فهيمنة الدولة العثمانية التي أعلنت دفاعها عن الدين الإسلامي تمثل مركزا إسلاميا وظهور الدولة الغربية اسبانيا التي تسعى إلى نشر الدين المسيحي، وتكون خليفة روما. تمثل المركز المسيحي / الكافر.

Abstract:

The simiology of the centre and the margin in "maqamat tohfa el-mardhia" this article studis "maqamat" of "Mohammed ben maimon" .which is based on the work of Day "Mohammed bikdach". Form a semiology in order to find the center and the margin in the text and to follow the Day 's mouvement from the margin to the center.

When "Mohammed bikdach" arrived at high political position ,the conflict moved from a local setting to an international on , where muslims and christians fought one another to fnee Oran from the Spaniarols .

تمهيد:

تعد المقامة من الأجناس الأدبية العربية القديمة، وهذا ما يقربه الباحثون مثل عبد المالك مرتاض الذي يرى المقامة "جنسا أدبيا عربيا بامتياز"[1] ، و المقامة قصة طريفة، يهتم فيها الكاتب بالصناعة اللغوية، وترصيعِها بمختلف الصور البيانية، والمحسنات البديعية.

ومقامة محمد بن ميمون الجزائري، تحمل من رقة الأسلوب وصناعته الشيء الكثير، لكنها تنعدم من الخيال، فجاءت صورة طبق الأصل للواقع، وهذا ما أقره صاحبها / الكاتب لأنه تم تأليفها " من صادق الخبر وصحيحه على ما تجده فيه من ألفاظ لغوية وأنواع بديعية وأخبار مستلمحة وكناية مستملحة"[2]. فيؤكد الكاتب بأن مقامته مزيج من صناعة اللفظ وصدق الخبر.

وقدم الكاتب الخبر على الصناعة، فما هذه الصناعة إلا خدمة للخبر. وهذا الخبر ليس صنعا من خيال أو قصة طريفة مثلما عودتنا المقامات الشرقية، وإنما الكاتب شاهد على هذا الخبر ويتحرى في نقله للقارئ الصدق والأمانة وينمقه بالزخرف اللغوي فاعتماده "صادق الخبر ومعاودته تأليفه بالتنقيح"[3] هو عين التاريخ لأنه لا يتوقف عند ذكر الشخصيات الواقعية، وإنما يزودنا بالتاريخ الدقيق للأحداث، و لهذا تعد هذه المقامة مرجعا هاما لمختلف الدراسات التاريخية.

وجاء في لسان العرب " المقامة بالفتح: المجلس والجماعة من الناس"[4] ويقصد بالمجلس المكان الذي تجتمع فيه أفراد القبيلة. " ثم توسع العرب في معنى الكلمة فأصبحوا يطلقونها على خطبهم وأحاديثهم التي يقولونها في مجالسهم"[5] إلى أن أصبحت المقامة " الشكل الرسمي لخطاب القصة حيث كان يدور في بلاطات الخلفاء والأمراء ويحضره الخليفة والسلطان والوزراء"[6] والمجلس الرسمي هو الذي أضفى على هذا الخطاب سمة " الأدب الرسمي" أو " أدب المركز"

ومحمد بن ميمون يعترف بأن ما تحتويه المقامة من تنميق وزبرجة، لم يكن وليد الصدفة. بل جاء عن رغبة وإرادة هي خدمة المجلس العالي حيث قال " أردت أن أخدم مجلسه العالي"[7] فضمير الهاء يعود على "الداي محمد بكداش"* وهو أعلى سلطة سياسية في البلاد.

فالمقامة تمثل " الجانب الثقافي" جاءت لخدمة مجلس محمد بكداش " الجانب السياسي " ويصبح بعد مرور الزمن " الجانب الثقافي" في خدمة "الجانب التاريخي". ومن خلال البحث سنحاول الوقوف على هذه الجوانب التي أرادت المقامة تسليط الضوء عليها.

1- سيميائية العنوان:

العنوان هو العتبة الأولى التي من خلالها يتم الولوج إلى عالم النص، فلا يمكن أن نمر إلى المتن دون طرق العنوان ومحاولة فك رموزه و" تنبثق أهمية " العنوان " من حيث هو مؤشر تعريفي و تحديدي" [8] فالعنوان يضع القارئ أمام الإطار العام للنص فهو " نافذة النص على العالم ودليل القارئ إلى النص أي أن وجود النص من وجود العنوان"[9].

وما يسعى إليه الكاتب من خلال إحكام صناعة العنوان هو فعل القراءة، فبالقراءة يولد النص ويحيا ويتناسل وينتشر محققا كينونته. وما نلاحظه عن العنوان ، أن الكاتب لم يضع عنوانا متداولا جاهزا.فيصفه أبو القاسم سعد الله "بالغريب" حيث قال:" والغريب أن ابن ميمون قد سمى كتابه في ذلك (التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية) ولم يسمه مثلا المقامات المرضية أو نحو ذلك من التسميات حتى تتسق مع المحتوى"[10].

ونعتقد أن الغرابة تكمن في مخالفتة لمن سبقه أو عاصره في وضع جنس النص الأدبي "المقامة" في العنوان مثل: المقامة البغدادية، المقامة الهمذانية، مقامات ومنامات الوهراني...

ثم يقدم لنا سبب هذه التسمية " حتى تتسق مع المحتوى" لم يفصل أبو القاسم سعد الله في اتساق العنوان مع المحتوى ولعله يقصد بالاتساق الجانب البلاغي أو النحوي وربما الدلالي.

وإذا لاحظنا العنوان من الجانب البلاغي نجد الكاتب أسرف في الصنعة اللفظية، ليلفت انتباه القارئ للعنوان فجرس السجع " مرضية، بكداشية، محمية" صبغ العنوان بمحسن بديعي، عهدناه في صناعة المقامة، فالجرس الموسيقي للعنوان ربط النص بجنسه " المقامة" دون ذكره في العنوان. والسجع لم يربط النص بجنسه فحسب، بل فصل بين أجزاء العنوان، فعندما تنتهي حركة السجع، يجد القارئ نفسه مضطرا للتوقف قليلا، ليفكر ويتدبر في هذا الجزء ثم يستأنف قراءة الذي يليه فيميط اللثام عن الجزء الذي سبقه.

وعليه تم تقسيم العنوان إلى ثلاثة أجزاء: التحفة المرضية/ في الدولة البكداشية/ في بلاد الجزائر المحمية.

" التحفة المرضية" تضع القارئ أمام عدة استفسارات وتساؤلات منها: ما معنى التحفة المرضية؟ وما محتواها؟ وما هو مضمونها؟.

" في الدولة البكداشية": تكشف له عن مضمون التحفة وهو أخبار من الدولة البكداشية أو تعرفه بهذه الدولة.

فالقارئ ليس محددا بزمان أو مكان، فبالضرورة ليس كل قارئ يعرف هذه الدولة وكل سؤال يطرح حول هوية هذه الدولة يجيبه الشق الأخير.

"في بلاد الجزائر المحمية" فيضبط له الإطار الجغرافي والتاريخي لهذه الدولة

وضبط الكاتب الإطار الجغرافي والتاريخي لأنه يريد للنص أن يتجاوز حدوده التاريخية والجغرافية.

فالتناغم الموسيقي للعنوان أخبرنا بجنس النص، وسحر الأذن لتفتش العين عن مضمون النص ومحتواه ومن الجانب النحوي فإن العنوان عبارة عن جملة اسمية مركبة، يفصلها المخطط الآتي:

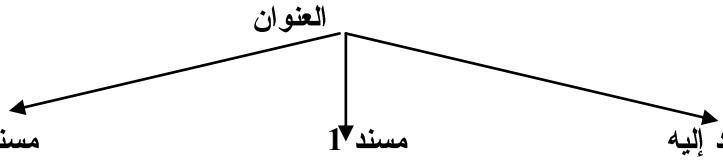

مسند إليه	مسند1	مسند2
مختص بالنعت	شبه جملة	شبه جملة
التحفة المرضية	في الدولة البكداشية	في بلاد الجزائر المحمية
مبتدأ صفة	حرف جر اسم مجرور صفة	حرف جر اسم مجرور مضاف إليه صفة وهو مضاف

إذا كان المبتدأ (المسند إليه) هو الشيء المحكوم عليه والخبر (المسند) هو الشيء المحكوم به، فالتحفة يحكمها مسندان: المسند 1 علاقته مباشرة بالمسند إليه (التحفة) وهي علاقة احتواء بينهما حرف الجر (في)، بينما المسند 2 فإنه يحتوي المسند 1 والمسند إليه.

و من الجانب الدلالي، فيكمن في تقسيم الأجزاء الثلاثة إلى ثلاثة حقول:

ـ التحفة المرضية ⟸ حقل ثقافي

ـ في الدولة البكداشية ⟸ حقل سياسي

ـ في بلاد الجزائر المحمية ⟸ حقل جغرافي/ تاريخي

ونلخص ما سبق في المخطط الآتي:

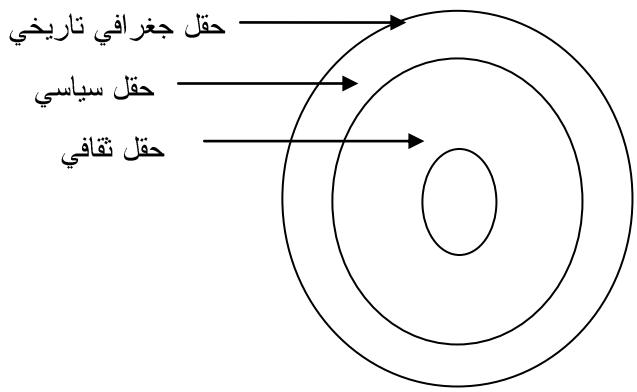

فإذا كانت التحفة هي هذا الإنتاج الأدبي (المقامة) فإن المقامة تعبر عن حقل ثقافي، وهذا الحقل جاء لإرضاء (مرضية) الحقل السياسي الدولة البكداشية، والحقل السياسي يضبطه حقل جغرافي هو بلاد الجزائر المحمية، وكلمة محمية تحدد الإطار الزماني "حقل تاريخي".

فمحمية تبين أن الجزائر لا تتمتع بالاستقلال السياسي التام، وإنما هي دولة محمية أو تابع للدولة العثمانية. وعليه فإننا أمام حقلين سياسيين حقل مركزي هو الدولة العثمانية / الإسلامية، وحقل هامشي هو الدولة البكداشية (الجزائر). وجاءت نسبة حقل الدولة البكداشية إلى "الداي محمد بكداش" لأنه يمثل السلطة المركزية في هذا الحقل.

و الكاتب عندما تناول شخصية "محمد بكداش" وسلط الضوء على انجازها العظيم، تحرير وهران. نقل لنا صورة دقيقة لوضعية المركز في الجزائر، في العهد العثماني.

2- التحليل السيميائي للمقامة:

ارتبط الكاتب محمد بن ميمون بتاريخ عصره فقدم لنا التاريخ بأسلوب سردي، في جنس المقامة. جاعلا صاحب السلطة / المركز الداي محمد بكداش بطلا لها، ورمزا للعلم والعدل. فيضعه في مرتبة " عالم الأمراء وأمير العلماء، مولانا فخر الدولة العثمانية، وناشر لواء العدل على جميع البرية" [11] فهو عالم ــ الأمراء ، أميرــ العلماء.

فالعلم والمعرفة حققا له الوصول إلى الإمارة/ المركز، ولم يتوقف علمه عند حدود السلطة الآنية، فبمجرد وصوله لها وتحقيق الهدف الأول بدأ يبحث عن علم آخر يجعل منه " فخر الدولة العثمانية". وبذلك يخرج الداي عن سلطة الزمن الحقيقي ويدخل إلى اللازمن فيذكر اسمه مع سيرورة التاريخ. ويصبح رمزا للشجاعة والعدل فهو" ناشر لواء العدل على جميع البرية" فعدله لا يخص جزء من الوطن دون غيره، إنه يمس كل البرية ولعله يقصد بجميع البرية كل القطر الجزائري بما فيها وهران التي كانت تئن تحت وطأة الاستعمار الاسباني ****

ولأهمية الإنجاز ــ تحرير وهران ــ فإن عمر بن قينة يخرج المقامة من عنوانها الرئيسي الذي وضعه مؤلفها ويسميها بعنوان هامشي:" مقامة الزحف الوهراني"[12] فتحرير وهران هو الحدث الرئيسي الذي يتمحور حوله نسيج المقامة، والداي محمد بكداش هو البطل الذي حقق هذا الانجاز –تحرير وهران– وبتحقيقه أصبح فخر التاريخ والأدب.

2-1- تقطيع المقامة:

بعد القراءات العديدة، نعتقد أن تقطيع المقامة / النص وفق المحدد المكاني، يسمح بعرض حالات المركز والهامشي التي عاشها البطل "محمد بكداش"

2-1-1- مسقط رأسه (وضعية الهامش):

ورد في المقامة السابعة اسمه وأهل مملكته، وذكر محمد بن ميمون نسبه قائلا "هو أمير المؤمنين بن علي بن محمد الشريف الحسني النكداني"[13] وقد مر بنا تفسير النكداني في هامش المقامة الأولى فالنكداني "نسبة إلى نكدا (Negda) مدينة صغيرة قديمة في الأناضول تقع بين أنقار واسطنبول، وهي إلى أنقار أقرب"[14] فللهامش أهمية في تفسير المتن فيعود إليه القارئ ليجد التعليق والتوضيح الذي يغيب ذكره في المتن.

فأقر "محمد بن ميمون" بأن " الداي محمد بكداش" ينتمي إلى قرية صغيرة في الأناضول أي ينتمي إلى الهامش (بحكم القرية هامش للمدينة التي تعد مركزا) وبقاؤه في القرية، يعيش وتيرة حياتها الرتيبة لا يحقق طموحه الذي يدفعه إلى اختراق الهامش للوصول إلى المركز. فتأتي وصية الوالد تتضمن حلا لهذا النزاع "إن أبني هذا على المغرب سيكون أميرا" [15] فالإمارة أو سلطة المركز لن تتحقق في مسقط رأسه، وعليه أن يغادر الهامش وينتمي إلى مكان جديد يحقق فيه مركزيته. وهذا المكان هو الجزائر حيث أن الجزائر جزء من المغرب العربي.

2-1-2- في الجزائر/ وضعية المركز:

كانت طائفة الأتراك في الجزائر تمثل المركز الاجتماعي والسياسي وتحتل الطبقة الأولى في التقسيم الطبقي للمجتمع الجزائري إبان العهد العثماني، ولكي تحافظ على وضعها

الاجتماعي انعزلت عن بقية طبقات المجتمع الجزائري، وكانوا " يجلبون من الحين والآخر جماعات من أتراك الأناضول في فرق الأجاوق أو الانكشارية للعمل في الجيش التركي" [16] وقدم محمد بكداش ضمن هذه الفرق إلى الجزائر "في سنة ست وثمانين بعد الألف، فانتظم به الشمل والتف. فكتبوه في العسكر كما هي العادة"[17] . فبوصوله إلى الجزائر خرج من دائرة الهامش ودخل إلى دائرة المركز، فكل تركي في الجزائر مهما تكن رتبته أو سنه في مجتمع الجزائر هو مركز لأنه يمثل الطبقة الأولى من المجتمع التي تستفيد من خدمة بقية فئات المجتمع (كراغلة، حضر، بدو) وما إن يصل إلى الجزائر ليلتحق بخدمة العسكر ويتقلد المناصب ليصل إلى أعلى سلطة هي الداي.

2-1-3- نفيه عن الجزائر / وضعية الهامش:

الوصول إلى المركز / الداي طريق محفوف بالمكائد والمؤامرات فحين كان الجنود "ينادون بالتولية لبكداش، فاعرض عنها وشرد أمرهم بتولية الشريف" ♣[18]، موقف جريئ من رجل شجاع يحسب له لا عليه لكن النميمة والفتن أوغرت قلب الداي حسين خوجة الملقب بـــ "الشريف". "فخلعه عن سلطانه وأخرجه من أوطانه"[19] فخلعه من منصبه ونفاه من الجزائر فزج به في دائرة الهامش بعد أن كان في دائرة المركز.

2-1-4- عودته إلى الجزائر (وضعية المركز):

لم يدم نفيه عن الجزائر طويلا، فسرعان ما عاد إليها ودخلها "صباحا من باب الجديد"[20] وعند عودته "بويع له بالخلافة"[21] وهكذا فإنه وصل إلى الحكم وأصبح دايا على الجزائر أي أنه وصل إلى سلطة المركز وتلخيصا لما سبق ذكره فإنه عبر الفضاء المكاني، إنتقل الداي من:

هامش ⟵ مركز ⟵ هامش ⟵ مركز

مسقط رأسه الجزائر نفيه عن الجزائر عودته إلى الجزائر و توليه الحكم

2-2- النموذج العاملي:

و لد النموذج العاملي لغريماس من رحم وظائف بروب، فلخص الوظائف إلى أفعال. وإن كانت الوظائف حكرا على الحكاية الخرافية فإن النموذج العاملي يضم كل الأعمال السردية، ونموذج المقامة يتكون من:

2-2-1- العوامل:

- **المرسل (destinateur):** التاريخ هو المقيم لانجازات الرجال يقبلها أو يرفضها، يبعثها للأجيال جيل بعد جيل أو يطمسها فالتاريخ هو المرسل لعمل / إنجاز " الداي محمد بكداش" وهو الذي يحكم عليه ويقومه.

- **المرسل إليه (destinataire):** جاء هذا العمل (المقامة) كما ذكر صاحبها (محمد بن ميمون) لخدمة سلطة الداي فقال " أردت أن أخدم مجلسه العالي بزف هذا الكتاب إليه"[22] فالمرسل إليه هو "الداي محمد بكداش" صاحب السلطة / المركز والممثل الأول للشعب جزائري.

- **ذات الفاعل (sujet de faire)** يعد بطل المقامة "محمد بكداش" ذات فاعلة ، وقد ظهر الأتراك في الجزائر"بمظهر حماة الدين"[23] وحرصوا على الدين لأنه " الرابط القوي الذي كان يربط الجميع"[24] وبطل المقامة محمد بكداش ذو "عقل حصيف ودين متين وسلوك من النزاهة التامة على سبيل مبين"[25]. فحرص الكاتب على إبراز فضائل البطل، وخاصة ما يتعلق باستقامة الأخلاق ومتانة الدين لأنها تساعده على الاتصال بموضوع القيمة (objet de valeur).

موضوع القيمة (objet de valeur): تحرير وهران وتخليصها من قهر الاستعمار / الاستدمار الاسباني، موضوع قيمة بالنسبة للداي محمد بكداش. وبتحقيق هذا الموضوع يصبح الداي فخر الدولة العثمانية، وفخر الشعب الجزائري لأنه وحد ترابه تحت راية حكم الإسلام.

المساعد (adjuvant): وتحقيق هذا الانجاز يحتاج لمساعد ، فقهر الجيش الاسباني وإطاحة قرنين من الاستعباد لن يتحقق إلا بتضافر الجهود. وخير مساعد للداي خليفته وصهره ووزيره "حسن أوزان" ويذكر محمد بن ميمون بأن حياة "حسن أوزان" تغيرت بعد أن أصبح صهر "محمد بكداش" فقد كان قبل ذلك "لثغور البطالة مرتشفا، لا يغدو إلا ثملا، ولا يروح إلا بنشوة مشتملا"[26]. وأصبح " أكرم الناس عطاء "[27] فبعدما كان "حسن أوزان" مدمن خمر أصبح مدمن حرب، وبعدما كان يعاني من البطالة أصبح يستقبل الوفود ويصدر الأحكام. فبمصاهرة " حسن أوزان" لبكداش حولت حياته من دائرة الهامش إلى دائرة المركز.

وقد ذكر محمد بن ميمون "حسن أوزان" كان رفقة " مصطفى أبو الشلاغم باي الايالة الوهرانية" [28] فهو لا يقل حنكة وخبرة عن "حسن أوزان" خاصة وأنه يعرف جيدا دقائق وخصوصيات المنطقة، فتضافر الجهود "من أوزان" و " الباي مصطفى أبو الشلاغم" والمجاهدين والمتطوعين الذين أثروا الموت في سبيل الله ورسوله ساعد "الداي محمد بكداش" على تحقيق الانجاز.

المعارض (l'opposant): بكل تأكيد فإن المعارض هم الاسبان الذين يرفضون الخروج من وهران فقد استوطنوا فيها" ومكثوا في المدينة مائتين وخمسة أعوام، و بنوا الحصون وشيدوها، وتملكوا الأوطان و مهدوها"[29] كما وجد الاسبان في بني عامر خير حليف ومساعد لهم، فثار سخط الجزائريين عليهم، ومنهم صاحب المقامة، فوصفهم بكل الصور السلبية منها " ليس فيهم زاجر، ولا منهم إلا غاو فاجر، يعزون الكافر على المسلمين"[30] يحمل هذا الوصف حكم سلبي أطلق على أولاد عامر بسبب تعاملهم مع الاسبان، ولا يقتصر الحكم على فجورهم وخروجهم من الإيمان، بل إنهم فقدوا أراضيهم التي منحت إلى "الدواير و الزمالة"[31].

2-2-2- علاقات العوامل:

علاقة تواصل: نلمسها بين المرسل التاريخ والمرسل إليه الداي محمد بكداش. فإنجازه العظيم تحدث عنه الأدباء في شعرهم ونثرهم. وسجله المؤرخون في كتبهم.

علاقة الرغبة: منذ البداية يجد القارئ "البطل" " محمد بكداش" لا يريد أن يبقى في حدود قريته الصغيرة (نكدا) وإنما يسعى للاتصال بموضوع قيمة يجعل منه فخر الدولة العثمانية.

علاقة الصراع: تمثل حالة الصراع العلاقة الموجودة بين المساعد والمعارض فحين ساعد "حسن أوزان" و "مصطفى أبو الشلاغم" الداي محمد بكداش للاتصال بموضوع القيمة / تحرير وهران، فأولاد عامر ساندوا الاسبان لكي لا يحقق الداي مبتغاه.

ونلخص العوامل وعلاقتها في النموذج الآتي:

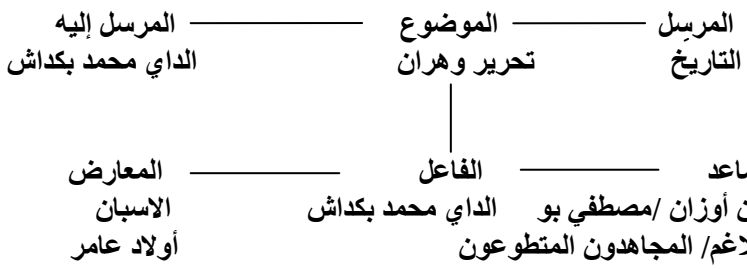

مخطط الرسم العاملي (*)*

2-3- البرنامج السردي:

في البرنامج السردي للمقامة يسعى ذات الحال محمد بكداش للاتصال بموضوع قيمة تحرير وهران.

وذات الحال هي نفسها الذات الفاعلة في البرنامج السردي للمقامة التي من خلالها تتحرك القصة، فالبطل "محمد بكداش" لا يدخر جهدا ليتصل بموضوع القيمة ليصبح فخر الدولة العثمانية.

2-3-1- أطوار البرنامج السردي:

1- التحريك: ظهر الأتراك في الجزائر بصورة حماة الوطن، والمدافعين على الإسلام، حيث أن رابطة الدين الإسلامي هي التي وحدت الأتراك والجزائريين، وقد ظهر البطل "محمد بكداش" بصورة البطل الشجاع الذي يدافع عن الأرض والعرض، ولهذا فإن موضوع القيمة يصب في هذا الهدف ألا وهو الدفاع عن الإسلام. وبما أن وهران أرض المسلمين تئن تحت وطأة الاحتلال الاسباني الكافر فإن البطل محمد بكداش يسعى للدفاع عن الإسلام وتحرير أرضه من الأسر.

2- الكفاءة: تحتوي الكفاءة على العناصر التي يجب على الذات امتلاكها لتحقيق موضوع القيمة و " تبنى هذه الكفاءة على جهات هي إرادة الفعل (vouloir faire)، وجوب الفعل (devoir faire) ومعرفة الفعل (savoir faire)"[32].

3-الواجب: يتصرف الداي بإحساس داخلي مبدؤه الواجب الذي يفرضه الدين الإسلامي فالجهاد في سبيل الله وإخراج الكفار من أرض المسلمين واجب ديني.

2-2- الإرادة: تتجلى إرادة "محمد بكداش" في مثابرته وإصراره المتواصل للوصول إلى مركز السلطة / الداي، ولم يتوقف طموحه عند سلطة المركز الداي بل إنه استثمر هذه السلطة ليحقق هدفا أسمى وهو الجهاد في سبيل الله وتحرير وهران.

2-3- معرفة الفعل: وصف محمد بن ميمون الداي محمد بكداش بعدة صفات أهلته للوصول لموضوع القيمة / تحرير وهران منها أنه صاحب علم "فلازم الشيخ قاسم* صاحب الأسرار النواسم، ولديه من جميع الاعتقاد، في أصالته الرفيعة العماد"[33].ويتميز بفصاحة اللسان وبلاغته* "فيقذف لسانه لؤلؤه المكنون، ويصرف من بدائعه الأنواع والفنون، فلا يجاري في مضمار إحسان ولا يباري في بلاغة و براعة لسان" [34]. كما أنه رجل حرب وحنكة عسكرية، اكتسبها من تقلده مناصب مختلفة في الجيش التركي بالجزائر.

2-4- القدرة على الفعل: تحقيق القدرة يتطلب تحقيق برنامج ثانوي أو برنامج مساعد، يتمثل في وصول " محمد بكداش" إلى سلطة المركز " الداي" وهي السلطة التي يستخدمها لتحرير وهران

2-4-1- البرنامج الثانوي لتحصيل القدرة:

1- النموذج العاملي:

1-1- العوامل:

المرسل: التاريخ/ محمد بن ميمون.

المرسل إليه: الداي محمد بكداش

ذات الفاعلة: بطل المقامة محمد بكداش

موضوع القيمة: الوصول إلى سلطة المركز السياسي/ الداي.

المعارض: يذكر صاحب المقامة أن الجنود كانوا " ينادون بالتولية لبكداش فاعرض عنها وشرد، وأمرهم بتولية الشريف"[35] فترك السلطة للشريف / الداي حسين خوجة لأنه "كان يظن أنه كأخيه"[36] فالشيء الظاهر هو الأخوة التي تجمع بكداش بالشريف لكن الشيء المخفي هو عكس ذلك. وتبينت نوايا الشريف لبكداش عندما "خلعه عن سلطانه، وأخرجه عن أوطانه ، بعد أن بقي برهة في قبضة الأمير محبوسا"[37] انخداع "محمد بكداش" في "الداي حسين خوجة" لأنه اعتمد على الظاهر فوضعه في منزلة الأخوة و تنازل له عن السلطة لأنه يعتقد أن الظاهر مطابق للكينونة، فوضعه في **وضعية صدق**.

لكن عندما سجن الداي حسين خوجة "محمد بكداش" وخلعه من منصبه ونفاه إلى تونس جعله يدرك بأن كينونته لا تطابق ظاهره فاستغله للوصول إلى السلطة، ثم سعى إلى إبعاده عنها وهذا ما جعل "محمد بكداش" يقتنع بأن "الداي حسين خوجة" في **وضعية كاذبة**.

وهذه اللحظة السردية تجسد الوضع المتأزم الذي وصل إليه " محمد بكداش" فبقاؤه في المنفى يعني ابتعاده الأبدي عن المركز (سلطة الداي) وعودته إلى الجزائر تعني موته فهو يشكل خطر على سلطة الداي حسين خوجة.

المساعد: إذا كان القتل مقصلة الرجال فالداي اختار العودة إلى الجزائر يحمل روحه بين كفيه، وبين جوانحه يغازله حلم سلطة المركز (الداي). ولكي يصل إلى هذا الحلم لابد من انتصاره على الداي حسين خوجة "الشريف" ويساعده على خوض هذا الغمار الصعب " أصحابه أسود القفراء فتألقوا في حينهم وأرادوا الرجوع إلى وطنهم"[38] لكن تأشيرة العودة يجب أن يوقعها أمير الخضراء، داي تونس ولهذا " فرق شملهم قصدا للاختبار"[39] وعندما وجد أمرهم واحدا ساعدهم في طريق العودة " فأعطاهم الزاد والخيل"[40] وبهذا العمل فإن داي تونس عامل مساعد.

العوامل وعلاقاتها:

علاقة تواصل: بين المرسل "محمد بن ميمون" والداي محمد بكداش فيسلط الضوء على الخطوات الأولى التي وصل فيها "محمد بكداش" إلى الجزائر وتحديه الصعاب ليصل إلى الحكم.

علاقة الرغبة: بين الفاعل وموضوع القيمة علاقة رغبة، ورغبة محمد بكداش في الوصول إلى سلطة المركز (الداي) نلمسها من خلال إصراره وعودته إلى الجزائر بعد نفيه عنها وإبعاده عن هذه السلطة (الداي)، رغم كل المخاطر التي كانت تنتظره.

علاقة الصراع: كان "محمد بكداش" موضوع غيرة وحسد الداي "حسين خوجة" لأنه كسب ود واحترام الرعية فأصبح موضوع خطر على السلطة لهذا فإن "الداي حسين خوجة" نفاه إلى تونس قصد إبعاده عن السلطة وإزالة هذا الخطر. وفي تونس وجد محمد بكداش في "داي تونس" عاملا مساعدا فسهل له طريق العودة إلى الجزائر رفقة أصدقائه الشجعان، الذين التفوا حوله وساعدوه على الاتصال بموضوع القيمة/ سلطة المركز (الداي). ونلخص النموذج العاملي في المخطط الآتي:

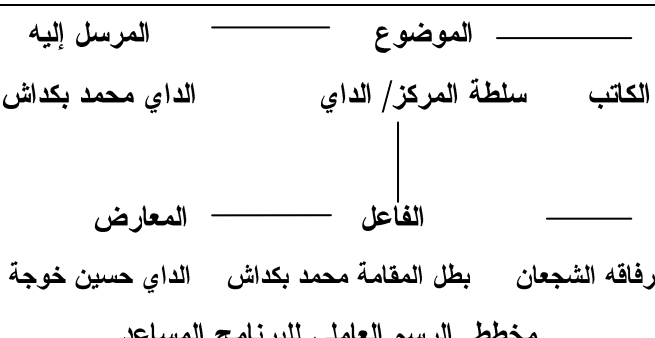

مخطط الرسم العاملي للبرنامج المساعد

2- البرنامج السردي الثانوي:

يعتمد البرنامج السردي الرئيسي للمقامة على البرنامج الثانوي، فلا يمكن تحقيق البرنامج الرئيسي ما لم يتحقق البرنامج الثانوي. وصول محمد بكداش إلى سلطة المركز.

2-1- أطوار البرنامج السردي الثانوي:

1- التحريك: ما إن يصل الأتراك إلى الجزائر حتى تصبح سلطة المركز / الداي حلم كل جندي إنكشاري تتوفر فيه مواصفات الشجاعة والمعرفة، ومحمد بكداش أحد الجنود الأتراك الذي يطمح لتحقيق العدل والنزاهة، ويصبح فخر العثمانين، وقدوة يقتدى به وهذا الحلم لا يمكنه أن يبلغه إلا إذا حقق الاتصال بموضوع القيمة (سلطة المركز / الداي) وحقق من خلالها إنجازا عظيما يشهد على شجاعته وأخلاقه.

2- الكفاءة :

- **الإرادة:** نلمس إرادة "محمد بكداش" في الوصول إلى سلطة المركز (الداي) من خلال عودته إلى الجزائر رغم المخاطر التي تنتظره.

-**المعرفة:** -اتصاله بالعلماء

- صاحب فصاحة وبلاغة

- صاحب حنكة عسكرية

3- الإنجاز: ذات الحالة هي نفسها ذات الفاعلة فمحمد بكداش استغل كفاءته، أحسن استغلال، ليصل إلى مركز السلطة ويصبح الداي محمد بكداش.

3-1- الحالة والتحول:

حالة البداية (نقص) ⟸ فعل التحول ⟸ حالة النهاية

انفصال محمد بكداش عن سلطة المركز **عمل محمد بكداش على الاتصال بسلطة المركز** **اتصال محمد بسلطة المركز وأصبح الداي محمد بكداش**

4- الجزاء: حقق محمد بكداش الاتصال بموضوع القيمة/سلطة المركز (الداي) وهو جزاء إيجابي يستطيع من خلاله أن يحقق البرنامج السردي الرئيسي.

ويمكن أن نمثل مسار الداي "محمد بكداش" للحصول على القدرة على النحو الآتي:

هامش ⟸ اللاهامش ⟸ مركز

وبتحقيق البرنامج الثانوي، تحققت قدرة "محمد بكداش" فأصبح "الداي محمد بكداش" وسلطة الداي تعد القدرة التي تساعد الداي على تحقيق برنامجه الرئيسي، وليست هي البرنامج الرئيسي، لأن الفخر يتبعه إنجاز عظيم من خلال هذه السلطة. وليس الوصول إلى السلطة في حد ذاته فخر.

3- الإنجاز: بفضل البرنامج الثانوي لتحصيل القدرة اكتملت عناصر كفاءة الداي "محمد بكداش" وأصبح موضوع القيمة / تحرير وهران هدفه المباشر، فجمع العدة والرجال ليحرر وهران، وبتحريرها يتم الإنجاز ويتصل "الداي محمد بكداش" ذات الحالة بموضوع القيمة تحرير وهران.

3-1- الحالة والتحول:

حالة البداية (نقص) ⟸ فعل التحول ⟸ حالة النهاية

انفصال الداي محمد بكداش عن موضوع القيمة (تحرير وهران) **كل الأعمال التي قام بها بكداش من أجل الاتصال بموضوع القيمة تحرير وهران** **اتصال الداي محمد بكداش بموضوع القيمة تحرير وهران من أيدي الاسبان**

4- الجزاء: هو آخر مرحلة في البرنامج السردي، وبما أن "الداي محمد بكداش" حقق الاتصال بموضوع القيمة " تحرير وهران"، وأصبح فخر الدولة العثمانية وكل المسلمين، وسيظل فخر التاريخ فإن الجزاء إيجابي. ونلخص البرنامج السردي الرئيسي في الجدول الآتي:

البرنامج السردي الرئيسي

الإيعاز (التحريك)	الكفاءة	الإنجاز	الجزاء
الحس الاسلامي للداي وقلقه على تراب وعرض المسلمين هو الذي أوعز الداي وحركه لتحرير وهران.	- واجب: يفرضه الدين الإسلامي. - الإرادة: يتجلى في طموح الداي محمد بكداش الذي لم يتوقف عند سلطة الداي. - معرفة الفعل: كان الداي صاحب علم صاحب فصاحة وبلاغة. صاحب حنكة عسكرية - قدرة الفعل ووصول محمد بكداش إلى سلطة المركز / الداي.	تم تحرير وهران من أيدي الاسبان.	جزاء إيجابي فالداي حقق تحرير وهران وأصبح فخر الأدب والتاريخ.

المربع السيميائي:

يجسد المربع السيميائي المستوى العميق للنص و يمكن أن نمثل المربع السيميائي للبرنامج السردي من خلال مقولتين أساسيتين: مركزية المسلم (محمد بكداش) ومركزية الكافر (الاسبان). وهذا ما يوضحه المخطط الآتي:

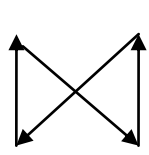

وإذا ما تأملنا المخطط نجد أن وهران خرجت من مركزية الحكم الكافر (الاسبان) ودخلت في مركزية الحكم المسلم (محمد بكداش) ودخول وهران في هذا الحكم تطلب من "محمد بكداش" الانتقال من الهامش إلى سلطة المركز (الداي) بتحقيق هذا البرنامج الذي يمثل برنامج تحقيق القدرة. انتقل "الداي محمد بكداش" إلى برنامج المواجهة بين مركز مسلم يقوده "محمد بكداش" ومركز كافر (الاسبان) اضطر في نهاية الأمر إلى الخروج من وهران.

ويدل خروج الاسبان على التقويم الايجابي لمحمد بكداش وبفضل انجازه انتقلت وهران من مركزية الكافر إلي مركزية المسلم. وهذا الانتقال عكس ما كان يرغب فيه الآخر (الكافر) الاسبان المسيطر على وهران والذي يسعى إلى طمس معالمهما الإسلامية مثلما فعل بالأندلس. ويرغب في تحويلها إلى مقاطعة مسيحية (كافرة) تخدم مصالحه وأهدافه .

واتضحت مركزية الكافر في سيطرته على وهران وبناء الأبراج "برج اليهود"، " برج الأحمر"، "وبرج الحديد" وتسخير لفيف من القبائل لخدمته ودفع الجزية له والقتال في صفه ومنهم "أولاد عامر". ورغم هذا فإن المسيحي (الاسبان)/ الكافر لم ينجح في تحقيق مسعاه وتحويل وهران. لمقاطعة مسيحية وطمس معالمها الإسلامية مثلما فعل بالأندلس. وخرج مستسلما منهزما.

الهوامش:

[1]– عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، دط،1998،ص18.

[2]– محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، تحقيق محمد بن عبد الكريم، وزارة الثقافة الجزائر،دط،2007،ص113.

[3]– ينظر المصدر نفسه، ص 113.

[4]– ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، المجلد 12، دار صادر بيروت، ط2000،1، ص224.

[5]– شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر،ط1971،6،ص247.

[6]– عبد المجيد دقياني، تقنية القاص في السيرة الشعبية العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 05، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، جوان 2009، ص146.147.

[7]– محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية، ص113.

[*]– محمد بكداش: هو محمد بن أبي الحسين نور الدين علي بن محمد النكيد، نسبة إلى نيكيدا ناحية من بلاد تركيا، حيث نشأ وتربى وهو عربي الأصل ينتمي إلى آل البيت، وبكداش لقب تركي معناه الحجر القاسي أو هو لفظ فارسي معناه المتفرد بالسوء (...) جلس على أريكة الحكم 1118هـ/ 1707م. قضى على حكم الاسبان في وهران في(1120هـ/1708م) تمرد الجند وتآمروا ضده فقتلوه خنقا يوم السبت 21محرم 1122هـ 22مارس 1710م، وأعدم معه صهره حسن أوزان وخلف الداي في منصبه دالي ابراهيم وهو أحد المتآمرين ضده. ينظر عبد الرحمان بن محمد الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة برج الكيفان الجزائر،ج03،دط،2009،ص209.210,220.

[8]– خالد حسين حسين، في نظرية العنوان، دار التكوين دمشق، سوريا، ط2007،1، ص05.

[9]– المرجع نفسه، ص493.

[10]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981م، ص217.

[11]– محمد بن ميمون، التحفة المرضية ص112.

[**]– سقطت مدينة وهران في أواخر المحرم سنة914هـ أو أواخر ماي 1508م وفي صبيحة يوم الجمعة من 26 شوال سنة 1119هـ/ 20 جانفي 1708 فتحها عنوة مصطفى أبو الشلاغم باي الآيالة الوهرانية و "أوزان حسن" خليفة الداي وصهره ينظر عمر بن قينة، فن المقامة، دار المعرفة، الجزائر،دط،2007، ص 225.

[12]– عمر بن قينة، فن المقامة، ص 225.

[13]– أحمد بن ميمون، التحفة المرضية، ص152

[14]– ينظر هامش، محمد بن ميمون، التحفة المرضية،ص 114.

[15]– محمد بن ميمون، التحفة المرضية،ص 115.

[16]– أحمد سليماني، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر،دط،2007، ص63.

[17]– محمد بن ميمون، التحفة المرضية،ص 116.

[♣]– الدي حسيين خوجة الملقب بالشريف، أنتخب بمنصب الدايوية سنة 1117 هـ/ 1705 م, توفي في أواخر شهر ذي الحجة الحرام سنة 1118 هـ/ مارس 1707 م.

للمزيد ينظر عبد الرحمن الجيلالي تاريخ الجزائر العام ج3 ص 208

[18]– محمد بن ميمون، التحفة المرضية،ص 124.

[19]– المصدر نفسه، ص 135.

[20]– المصدر نفسه، ص 138.

[21]– المصدر نفسه، ص 140.

[22]– المصدر نفسه، ص 113.

[23]– حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ط1982،2، ص111.

[24]– أحمد سليماني، تاريخ المدن الجزائرية، ص63.

[25]– محمد بن ميمون، التحفة المرضية، ص 115.

[26]– المصدر نفسه، ص 145.

[27]– المصدر نفسه، ص144

[28]– ينظر هامش، محمد ميمون، التحفة المرضية، ص 203.

[29]– محمد بن ميمون، التحفة المرضية، ص 203

[30]– المصدر نفسه، ص 204.

[31]– محفوظ سماتي، الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، وحدة الرغاية، الجزائر، دط، 2009، ص29.

[*]– وللمزيد من الإطلاع على مخطط الرسم العاملي، ينظر رشيد بن مالك، مقدمة في سيميائية السردية، دار القصبة، الجزائر، دط،2000، ص 30، ص32. وينظر نادية بو شفرة، معالم سيميائية، مطبعة الأمل، تيزي وزو، الجزائر، دط،2000،ص 20.

[32]– رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة، الجزائر، دط،2000 ص 20.

[*]– أحمد بن قاسم بن محمد المعروف بابن (ساسي ألبوني) صاحب "الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة" ينظر هامش، محمد بن ميمون، التحفة المرضية، ص 116.

[33]– محمد بن ميمون، التحفة المرضية، ص116.

[*]– قال الجامعي: كان محمد بكداش عالما فقيها مشاركا في عدة فنون من المعارف والعلوم، ماهرا في علم اللسان، تولى خطابة بعض جوامع الجزائر. ينظر هامش محمد بن ميمون، التحفة المرضية، ص121.

[34]– محمد بن ميمون، التحفة المرضية، ص 121.

[35]– المصدر نفسه، ص124.

[36]– المصدر نفسه، ص124.

[37]– المصدر نفسه، ص135.

[38]– محمد بن ميمون، التحفة المرضية، ص137.

[39]– المصدر نفسه، ص137.

[40]– المصدر نفسه، ص138.